الفصل الرابع

الحرية فى التربية الماركسية

أولاً : الحرية والطبيعة الإنسانية والتربية

ثانيا : الحرية والديمقراطية والتربية

ثالثا : الحرية والمجتمع والتربية

obeikandl.com

الفصل الرابع

الحرية فى التربية الماركسية

مقدمة :

تمَّ فى الإطار الفلسفى الإشارة إلى أن نقطة الانطلاق فى الفلسفة الماركسية، هى النظرة المادية إلى الكون والمجتمع، فالمادة هى أساس كل شئ، أو على حد تعبير " لينين " لا شئ يوجد فى العالم سوى المادة. ومن هذه النظرة المادية إلى الكون رفضت الماركسية أية ثنائية تحاول الفصل بين الروح والجسم أو الفكر والعمل، أو المادة وغير المادة، وترى أن الإنسان جوهره مادة، والطبيعة الإنسانية طبيعة مادية تخضع لما تخضع له المادة من تغير وتطور (وهذه نقطة التقاء مع البراجماتية التى تؤمن بالتغير وعدم الثبات) والطبيعة الإنسانية – من منظور الفلسفة الماركسية – حرّة، فى أن تختار طريقها أو تحدد مستقبلها، غير أن ذلك يتم فى إطار القوانين العملية التى تحكم حركة المادة ونشاطها، فالحرية هى حرية مقيدة منظمة، وليست حرية الغوغاء والفوضوية. والطبيعة الإنسانية كما تصورها الفلسفة الماركسية لا قوام لها وحدها ولا استقلال لها عن غيرها، فهى تستمد وجودها من الجماعة التى تعيش فيها، فالطبيعة الإنسانية، طبيعة اجتماعية، والإنسان ليس بمقدوره أن يحيا بمعزل عن الآخرين.

من هذا الواقع الاجتماعى، وهذه النظرية المادية، ومن دمج مادية " فورباخ " وجدلية "هيجل" صاغ " ماركس" و " أنجلس " تفسيرهما للوجود والمجتمع، وبلغة الفلسفة الماركسية "المادية الجدلية" و " المادية التاريخية ".

أما بالنسبة لنظرية التربية الماركسية فقد قامت على أساس المبادئ الفلسفية والاجتماعية والسياسية لهذه الفلسفة. فالنظرية التربوية عادة تكون جزءاً من فلسفة أو ايديولوجية اجتماعية شاملة، وهذه بدورها تعبير عن واقع اجتماعى معين، والماركسية مثل غيرها لم تخلق من عدم، وإنما تلتمس جذورها فى أوضاع وحركات وأفكار سابقة عليها ومعاصرة لها(١) . ومن وجهة نظر الباحث أنه إذا كانت الماركسية نظرية لها جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية، تهدف إلى سعادة الإنسان وتحرره، فلابد أن تكون التربية بوصفها عملية اجتماعية موجهة ومبرمجة وفق فلسفة الدولة وأهدافها، إحدى الأدوات الرئيسية للتغيير الثقافى والاجتماعى والاقتصادى. وإحدى الأدوات التى يستخدمها المجتمع وصولاً إلى مجتمع يرفض الاستغلال ويحرر الإنسان.

---

(١) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٤٦.

وفيما يخص الحرية فى التربية الماركسية سنتناولها من خلال المحاور الثلاثة التالية :

١- الحرية والطبيعة الإنسانية والتربية.

٢- الحرية والديمقراطية والتربية.

٣- الحرية والمجتمع والتربية.

أولاً : الحرية والطبيعة الإنسانية والتربية :

١- أهداف التربية فى إطار الحرية :

من منظور الفلسفة الماركسية لمفهوم الإنسان الحر يكون الهدف التربوى، حيث تضع التربية الماركسية الإنسان نصب عينها بعلاقاته المختلفة وبوصفه محور اهتمامها، وغايتها، والذى من خلاله تحقق التربية أهدافها. فالتربية الماركسية لا تنظر إلى الإنسان فرداً منعزلاً وإنما تنظر إليه عنصراً جدلياً له علاقات جدلية والتزامات معينة داخل مجتمعه وطبقته، هذه العلاقات هى التى يجب أن تقرر وتحدد الطرق التعليمية واتجاهات وأهداف السياسة التربوية فى مختلف المجالات(١) .

ومن هذا المنطلق يحدد " مكارنكو " أهداف التربية بأنها " التنمية المتكاملة للأجيال الناشئة وتركيز القيم المادية الضرورية لتربية الإنسان الحر"(٢) ولكن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام : كيف تنظر الماركسية إلى هذا الهدف فى إطار الحرية ؟ وما محتوى هذا الهدف ؟ الإجابة على هذا السؤال من منظور التربية الماركسية يتلخص بأن الثورة الصناعية وتنظيم العمل وفقاً للمفاهيم الرأسمالية، كان يفرض على العامل أن يقوم بوظيفة جزئية محددة، والتربية فى ظل سيطرة البرجوازية على الإنتاج كانت تهدف إلى تخريج العامل الذى يؤدى هذه الوظيفة الجزئية المحددة. وهى بالتالى تعمل على أن يتقن مهارات هذه الوظيفة أو هذا العمل فقط ، متجاهلة باقى جوانب شخصية العامل التى لا تتعلق مباشرة وفى أضيق الحدود بعمله هذا من وجهة نظر البرجوازية وتحقيقاً لأغراضها. ولكن الصناعة الضخمة وقاعدتها التكنولوجية الحديثة تتطلب نوعاً جديداً من العمل ومن الأفراد العاملين. لا تتطلب التخصص الضيق بقدر ما تحتاج إلى التخصص الواسع، وبالتالى لا تريد العامل الذى يتقن عملاً واحداً محدداً، بقدر ما تحتاج إلى العامل الذى يتقن المهارات الأساسية لأكثر من عمل، ويستطيع أن يتنقل بينها(٣) . وهكذا فإن

---

(1) A.S. Makarenko. Problems of sovict school Education, Moscow. Progress Publishers. 1965, p. 12.

(٢) ماكارنكو : قصيدة تربوية، ترجمة دار رادوغا، المجلد الأول، موسكو، ١٩٨٥، ص ١٤.

(٣) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٦١.

تعدد العمل يتطلب تنمية متكاملة لشخصية (العامل، المدرس، الطالب ... الخ) من جميع جوانبها، وهذا ما جعل المربين الماركسيين يبحثون عن نوع جديد من التربية له مطالب وأهداف تختلف عن مطالب وأهداف التربية فى ظل البرجوازية، وبداية عصر الثورة الصناعية، فنادوا بالتربية المتكاملة (الشاملة)(١) . لكى تحقق للإنسان ما يطمح إليه من حرية وسعادة ورخاء. فالتربية الحقيقية كما تراها "جوكوفسكايا " تكون فى تنمية الشخصية الخلقية المقتدرة فى اعتقادها الداخلى الخاص ومن تلقاء نفسها بأن تقر باستقلال كيف تتصرف فى هذه الحال أو تلك(٢) . ومن أجل هذا أكد " ماوتسى تونج " أن يكون هدف التربية هو مساعدة الناس على النمو خلقياً وعقلياً وجسمياً، لكى يصبحوا أحراراً واعين بما يجرى حولهم(٣) . ويرى " مكارنكو " أن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يحقق داخل جدران المدرسة وحدها، وإنما يتجاوزها إلى حيث حياة التلميذ كلها بشتى صورها وضروبها، سواء من خلال الأسرة، أو من خلال جماعات الأصدقاء. وقد أولى " مكارنكو " لهذا الهدف اهتماماً كبيراً، وأشار إلى أن التربية حين تخلق التلميذ ليكون شخصية حرة، فإنها تكون قد حققت هدفاً انسانياً فاضلاً ومثلاً أخلاقياً نبيلاً(٤) . وعندما تفعل التربية ذلك فانها تساعد التلاميذ على تغير الميول القديمة واكسابهم ميول جديدة، فيصبح الشخص ذاتاً أو خلقاً مختلفاً إلى درجة ما. فتنمو لديه رغبات واختيارات مختلفة، وتظهر الحرية بصورة عملية عندما تهتم التربية بهذه الإمكانية (إمكانية النمو) وتعمل على تحقيقها. فالحرية كما تقرها الماركسية ليست موهبة فطرية وإنما قدرة مكتسبة، وعليه فإننا نكون أحراراً فى الواقع بقدر اهتمامنا بامكانيات النمو العقلى والجسمى والخلقى(٥) .

ومن أجل أن يتحقق الهدف التربوى وهو خلق التلميذ ذى الشخصية الحرة المتكاملة، تقوم الدول التى تؤمن بفلسفة التربية الماركسية، بالسيطرة على التعليم سيطرة تامة، كما تقوم بتزويد التلاميذ باستمرار وفى كل مراحل التعليم، بالمبادئ الماركسية واحترام القانون وطاعته، وطاعة القانون لا تعنى كبت الحرية بل تعنى تجسيداً للحرية، فالحرية ليست فوضى أو عشوائية، وإنما هى سلوك منظم موجه محكوم بقواعد وقوانين. وهى تؤمن بضرورة الحرية والاستقلالية لفعالية

---

(١) محمد نبيل نوفل : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٢) جوكوفسكايا : أحاديث عن تربية الأطفال، ترجمة غائب طعمة فرحان، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٧، ص ٤٣.

(٣) محمد نبيل نوفل : دراسات فى الفكر التربوى المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٧١.

(4) A.S. Makarenko. Problems of soviet school Education. Op. cit. pp. 12-13.

(5) Ibid. p. 14.

الإنسان، هذه الفعالية نفسها مستحيلة عندما لا تدرك حالة الحرية، وبالتالى أن تجرد إنساناً من حريته هذا يعنى أن تجرده من فعاليته الخاصة(١) .

ومن الوسائل التى تأخذ بها التربية الماركسية من أجل تحقيق هدفها، توجيه الاهتمام للمدارس العامة وتحريم المدارس الخاصة، فخلق العامل المنتج أياً كان الأصل الذى ينتمى إليه يتعارض مع فكرة المدارس الخاصة التى تقوم على الطبقية أو الطائفية. والمدرسة العامة تضم الذكور والاناث وتغفل الفروق الاجتماعية والاقتصادية. كما تغفل الفروق فى الذكاء، فليس هناك مدارس خاصة للموهوبين، وأخرى للتلاميذ العاديين(٢) . واستناداً على هذا التوجه فإن الوظيفة العامة لجميع أنواع المدارس وعلى مختلف المستويات، هى أن تعمل على انجاح عملية التحديث ومواكبة التطورات والتنافسات العالمية ومواجهة الحاجات المستقبلية، وانطلاقاً من هذا تقوم المدارس فى " الصين " حالياً بتدريب الكفاءات وتأهيلها على كل المستويات وفى المجالات المختلفة. وتهيئ طلابها وتعدهم على أسس أخلاقية وفكرية وجسمية رفيعة، وتعودهم على طاعة النظام واحترامه، من أجل تحقيق نتائج إيجابية فى الابداع والممارسة والتفكير الذاتى الواعى وهذا هو أساس الحرية وجوهره(٣) .

٢- تنمية المعرفة من أجل الحرية :

تحتل تنمية الوعى المكان الأول فى عملية التربية الماركسية، ولا غرابه فى ذلك لأن الماركسية تنظر إلى العلم على أنه حركة تاريخية وقوة ثورية. ولابد " للبروليتاريا " من أن تتسلح بالعلم فى صراعها ضد البرجوازية، ثم لابد من أن تبنى مجتمعها الجديد على أساس علمى. وحسبنا أن نتذكر ما جاء فى الإطار الفلسفى وكيف جعل الماركسيون من شرط المعرفة شرطاً ضرورياً لتحقيق الحرية الإنسانية. ومن هنا تؤكد التربية الماركسية على التربية العقلية للشباب، أى تحصيله للمعرفة، فالحرية لا تتحقق من دون المعرفة والعلم، وآخر ما وصلت إليه التكنولوجيا(٤) . ومن هنا ايضاً فإن التربية إذا حققت هذه الوظائف، تكون قد حققت أهم شرط من شروط الحرية الإنسانية، وهو شرط المعرفة.

---

(1) K.D. Ushinsky. Man as the object of Education. Moscow, Progress Publishers. 1978. p. 502.

(2) Ibid. p. 506.

(٣) مكتب التربية العربي لدول الخليج (مترجم)، تطور التربية فى الصين، الرياض، ١٩٨٧، ص ١٩.

(٤) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٦٧.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الماركسية تنظر إلى العلم على أنه ليس شيئاً مجرداً، بل هو علم اجتماعى يرتكز على نظرية ومنهج المادية التاريخية بوصفها نظرية عامة للتطور الاجتماعى ومنهجاً عاماً للمعرفة الاجتماعية(١) . ومن هنا فإن عملية التعليم فى رأى الماركسية تقوم على أساس النظرية المادية فى المعرفة. فالمعرفة الموضوعية بالعالم تبدأ بالإدراك الحسى، ثم ينتقل التفكير من المادى إلى المجرد. ويضيف " لينين " مرحلة ثالثة، هى الانتقال من التجريد إلى الممارسة والتطبيق(٢) . وترى الماركسية " أن معرفة الطفل بالعالم المحيط به خلال عملية االتعلم وغيرها من أوجه النشاط ، تتم وفقاً لنفس الأسس التى تحكم عملية المعرفة، وأن كانت تتميز عنها ببعض الخصائص، فالطبيعة الحسية للطفل هى أول ما يربطه بالعالم، وأدوات الحس وخاصة الأنف والفم، هى أولى الوسائل التى يقّوم عن طريقها البيئة الخارجية. وفى هذا الخط العلمى المادى ينبغى أن تسير عملية التعليم والتربية إذا أردنا تحقيق الحرية الحقيقية الإنسانية "(٣) لذا تؤكد التربية الماركسية على تعليم الأطفال بصورة عقلانية هادفة، وإيلاء موضوع الحرية عناية خاصة باعطاء الطفل ما يلزمه بالذات، ومن الضرورى لأجل ذلك معرفة كيفية الترابط بين التعليم والتطور، والانطلاق من الصلة بينهما، وتعيين ماذا وكيف ينبغى تعليم الطفل فى مختلف مراحل الطفولة(٤) .

وانطلاقاً من أهمية التعليم هذه، يلاحظ الباحث أن تربية الوعى فى ظل الماركسية تصبح مهمة تتسم بالمسؤولية، وهى مهمة تكوّن القدرة لدى الإنسان على أن يكون حراً، ويتصرف تصرف من يعي قضيته، وأن زيادة هذا الوعى الذى هو شرط من شروط الحرية لا يتحقق إلا بالتعليم، والتعليم الهادف على أوسع نطاق [تعلّم يا بنى، فالعلم يلخص لنا تجارب الحياة التى تجرى بسرعة، هكذا يقول " بوريس غودونوف " لابنه " فيودور " فى مسرحية " بوشكين "] وتشير الماركسية إلى أن التعليم يعطى بالفعل، امكانية القيام بما كان من المستحيل القيام به، عملياً، وهو استيعاب خبرة ملايين الناس الذين عاشوا قبلنا أو يعيشون معنا. ولا يمكن لكل غنى هذه الخبرة أن يتكرر فى الحياة الشخصية لكل إنسان، ولكن يستطيع المرء تملكه عن طريق غير مباشر، على شكل المعارف المعممة، ومكتسبات الحضارة، ولا يحق لأحد أن يهمل هذا الشرط

---

(١) ريناتاغوروفا : مقدمة فى علم الاجتماع التربوى، ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٤، ص ٧١.

(٢) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق ، ص ١٦٧.

(٣) المرجع السابق ، ص ص ١٦٧-١٦٨.

(٤) فاليريامو خينا : نشأة الشخصية، ترجمة سليم توما، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨، ص ٢٦.

من شروط الحرية، فالجهل يمنع المرء من الاحساس بلون الحرية وطعمها الحقيقى، بل الحديث عن تنظيم الحياة الاجتماعية تنظيماً علمياً مبرمجاً، لا يمكن أن يتحقق، عموماً ، فى حال جهل قوانين التطور الاجتماعى(١) .

ويلاحظ الباحث أن التربية الماركسية حين تسعى لتنمية الوعى (المعرفة) لدى التلاميذ فانها تتخذ من العمل أداة لها، لأن الفكرة الأساسية فى التربية الماركسية هى الربط بين التعليم والعمل المنتج. هذا الربط يساعد على خلق تلميذ يتحلى بشخصية متكاملة. لقد عبر " لينين " عن هذا فى خطاب له سنة /١٩٢٠/ فقال : " إن الفجوة التامة بين الكتاب والحياة العملية من أعظم الشرور والكوارث التى ورثناها عن المجتمع الرأسمالى القديم "(٢) ، وقال محذراً " إنه بدون العمل فان المعرفة التى يحصل عليها الناس لا قيمة لها مطلقاً "(٣) . وهذه الفكرة، فكرة الربط بين العمل والفكر تسيطر فى الدول التى تأخذ بالتربية الماركسية على كل مراحل التعليم من أولى المراحل حتى آخرها وهى مرحلة التعليم الجامعى الذى يتميز بالتركيز الشديد على العلوم التطبيقية. فالمعرفة تستمد من الممارسة العملية. ونحن نحصل على المعرفة ونتعلم بهدف استخدام هذه المعرفة فى الممارسة الاجتماعية، وبهدف التطبيق العملى للعلم فى حل مشكلات المجتمع. ومن هذا المنطلق هاجم " ماو " العلماء والمفكرين الذين يعرفون ويحفظون النظريات والنصوص دون أن يهتموا بفائدتها وتطبيقاتها العملية(٤) . وترى الماركسية أن الممارسة الاجتماعية العملية هى المحك النهائى للمعرفة، وهى هدف الحصول عليها. إننا نتعلم عن طريق القراءة، ونحصل على ما هو موجود فى الكتب. ولكن الممارسة والتطبيق ودراسة المجتمع أهم وسيلة للتعلم(٥) . الذى يؤدى للقضاء على الجهل وتحقيق الحرية الإنسانية الحقيقية، ولا غرابة فى ذلك فقد عدت الماركسية شرط الممارسة من الشروط الضرورية لتحقيق الحرية كما اسلفنا من قبل.

أما عن الوسائل التى تتحقق من خلالها تنمية الوعى تقترح الماركسية، استخدام المناقشات (وقد اعطتها اهتماماً خاصاً) والمحاضرات والأمثلة وغيرها مما يساعد فى تربية الوعى. وتعتبر المشاركة فى النشاط العملى وسيلة هامة لتربية الشخصية ومصدراً لصقل صحتها الاخلاقية

---

(١) كوسولابوف وماركوف : الحرية والمسؤولية، مرجع سابق، ص ص ٢٣-٢٤.

(2) K.D. Ushinsky. Man as the object of Education. Op. cit. p. 507.

(3) Ibid. p. 507.

(٤) محمد نبيل نوفل : دراسات فى الفكر التربوى المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

ومؤشراً حاسماً على الفاعلية الاجتماعية، فالعمل يصبح وسيلة تربوية - فقط - عندما يعى التلاميذ أهميته ويشعرون بالرضى(١) .

وصفوة القول : إن الهدف من تنمية الوعى، هو تنمية النظرة العلمية الصحيحة إلى العالم، النظرة المادية الجدلية، واتاحة الفرصة للفرد لكى يحصّل المعرفة بطريقة منظمة، فيُلم بالمبادئ الاساسية للعلوم، وكذلك تقوية تفكيره وقدرته على الأدراك وعلى الكلام وعلى تحصيل المعرفة بنفسه، واستخدام علمه فى الحياة العملية. ولقد بين " لينين " فى خطابه فى المؤتمر الثالث لرابطة الشباب الشيوعيين فى روسيا المنعقد فى سنة /١٩٢٠/ أهمية تحصيل الثقافة التى وصل إليها الإنسان فى تطوره عبر القرون، كما نوه بضرورة التزود بحظ وافر من العلوم الحديثة، والحقائق السليمة وضرورة تنمية القدرة على التفكير المستقل الحر وعلى الابتكار فى العمل(٢) . وبناء على ذلك إذا اردنا لطلابنا حرية حقيقية، علينا أن نزودهم بالمعارف اللازمة لمواجهة مشكلات الحياة.

---

(١) جماعة من الأساتذة السوفيت : علم الاخلاق الماركسى، ترجمة ابراهيم قندور، مكتبة ميسلون، دمشق، ١٩٨٣، ص ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) ى . ن . ميدنسكى : التعليم العام فى الاتحاد السوفيتى، ترجمة ممدوح أباضة، الاتحاد المصرى للطباعة، ١٩٥٨، ص ١١.

obeikandl.com

ثانياً : الحرية والديمقراطية والتربية

١- الحرية والديمقراطية فى المدرسة :

تعتبر التربية الماركسية المدرسة مؤسسة اجتماعية، وجزءاً لا يتجزأ من المجتمع، لذا فلابد أن ترتبط المدرسة بالحياة الاجتماعية، ارتباطاً محكماً وكاملاً بحيث يتحقق ربط المعرفة مع التربية العامة فى الحياة فى إطار الفلسفة الماركسية(١) .

ومن منظور هذه الفلسفة للتربية، يجب أن تكون المدرسة الديمقراطية صورة متقدمة للمجتمع مرتبطة به فاعله فيه ومنفعلة به، وحتى تتحقق الحرية والديمقراطية فى المدرسة، لابد أن تقوم هذه المدرسة بدور كبير فى تطوير المجتمع الذى تقع فيه، وذلك من خلال توطيد علاقات ديمقراطية بأولياء أمور التلاميذ وبالمؤسسات الشعبية والاقتصادية والاجتماعية، وفى الوقت نفسه فلابد أن تشارك الجماهير فى عمل المدرسة واغنائها بخبراتها، وفى الوقت نفسه أيضاً، يجب على العمال والفلاحين والثوريين، الاتصال بالتلاميذ واخبارهم عما يدور فى المجتمع، وعن المشاكل التى يجب أن يتغلبوا عليها. لأن الجيل الصاعد يجب أن يحاط علماً بالأهداف التى يعمل من أجلها المجتمع، وذلك كى يشارك فى الوصول إليها، ولابد ان تشارك القوى الاجتماعية كافة فى تربية وتعليم الجيل الجديد، وهذا ما يتفق مع القانون الحتمى الذى يقرر ان فى الاشتراكية تنشأ - بصفة مستمرة - شروط أكثر كمالاً من أجل الحرية بواسطة المجتمع(٢) . ومن وجهة نظر الباحث ان المدرسة عندما تقوم باشراك التلاميذ فى الأوضاع التى تدور حولهم وصنع مستقبلهم بأنفسهم، تكون قد حققت درجة عالية من الديمقراطية والحرية.

ولما كانت المدرسة أداة لتهيئة الفرد للمجتمع الذى يعد لخدمته، فلابد للمدرسة أن توثق أسس التربية الديمقراطية، ومما لاشك فيه أن توفير هذا الأساس سيحقق الكثير للطالب نفسه وخاصة فى مجال ربط معارفه العلمية وخبراته المدرسية بالمواقف والخبرات المتنوعة خارج جدران المدرسة، حيث يتم التفاعل الكامل المثمر بينهما مما يؤدى إلى تكامل شخصية التلميذ وادراكه لدوره فى خدمة المجتمع، ادراكاً يجعله يتعلم من أجل أن يعمل فى خدمة بلده ومجتمعه، لأن كل عمل يفيد المجتمع يعد شرفاً، وأن من يتهرب من خدمة المجتمع يعتبر إنساناً فاشلاً(٣) ولاشك أن هذا كله لا يمكن أن يتم إلا فى ظل تربية ديمقراطية حرة. ومن منظور فلسفة التربية

---

(١) V. Sukhomlinsky. On Education Moscow, Progress Publishers, 1977, p. 188.

(٢) ماكارنكو : التربية الاشتراكية، ترجمة أديب يوسف شيش، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

الماركسية، ان وظيفة المدرسة ليست إعداد الطلاب للامتحانات وسبل الرزق وحدها، بل يجب أن تعدهم لكى يكونوا بشراً يستطيعون أن يحيوا حياة انسانية كاملة حرة جديرة بالبشر، وليست المدرسة فى إداء وظيفتها بعيدة عن المجتمع، وإنما تنبض بما ينبض به، وتستمد درسها من تراثه وهى فى الوقت نفسه تتطور مع العالم نحو المستقبل مدفوعة بعوامل التقدم التى تدفعه(١) . ومن هذا المنطلق تؤكد المدرسة الماركسية على حب العمل، لأنه ضرورى لتطوير شخصياتنا وقدراتنا العقلية، فلايكون هناك حرية خارج العمل ومن دونه(٢) .

وترى الماركسية : أنه، إذا كان التلميذ فى المدرسة يقوم بواجبه اتجاه العمل بشكل حماسى، فان موقفه للعمل سيكون أيضاً حماسياً بعد المدرسة(٣) اذن : فرسالة المدرسة يمكن تلخيصها فى أنها تعد الفرد لحياة الواقع وحياة المستقبل. ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام، ان الدول التى تدين بافكارها إلى الماركسية هى التى تفتح المدارس وتنفق عليها وتديرها، مما يضمن توحيد التعليم وتوزيع شبكة المدارس على أسس ديمقراطية سليمة. كما يكفل امدادها بحاجاتها. ويؤكد فى الوقت نفسه اتفاق مناهجها وترابط مراحلها. وهذا النظام الحكومى للتعليم – من وجهة نظر الباحث – خير وسيلة لتمكين المواطنين من الحصول على حقهم فى التعليم، وذلك لأنه يضمن عدم استغلال المدارس لاغراض تجارية أو غيرها، مما لا يستهدف الوظيفة الحقيقية للمدرسة. ومن الجدير بالذكر أيضاً، ان التربية الماركسية أكدت مبدأ فصل المدرسة عن الكنيسة فصلاً تاماً، وذلك يكفل للمواطنين حرية العقيدة، وحظرت فى الوقت نفسه نشر أية قوانين أو قرارات من شأنها أن تتدخل أو تصادر حرية الضمير والعقيدة أو أن ترتب أية امتيازات أو حقوق للمواطنين نتيجة لتبعيتهم الدينية(٤) . وبناء على ذلك حظرت تعليم الدين أو القيام بأية طقوس دينية فى المدارس ومن ثم فالمدارس والمؤسسات التعليمية تفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية التفسير المادى متجنبه ما يراه الدين تجاهها.

٢- التربية الديمقراطية ومبدأ تكافؤ الفرص :

مما لا شك فيه أن من حق كل فرد فى المجتمع أن ينال قسطاً من التعليم لابد منه لإطلاق امكاناته وتنمية مواهبه، ورفع مستوى مداركه وتنمية شخصيته بجوانبها المختلفة وتوفير السبل المتنوعة له للاستمرار فى التعليم إذا رغب فى ذلك.

---

(1) V. Sukhomlinsky. On Education. Op. cit. p. 188.

(2) Ibid. p. 189.

(3) Ibid. p. 189.

(٤) ى. ن. ميدنسكى : التعليم العام فى الاتحاد السوفيتى، مرجع سابق، ص ص ١٦-١٨.

وبمثل تلك الأرضية تناولت التربية الماركسية ما يسمى بديمقراطية التعليم حيث أكدت على أن التطوير لا يتم من الاعلى فقط باعداد بعض العناصر البشرية ذات الكفاءة العالية واليد الخبيرة والذهن المخطط . فمع أنه لا جدال فى أن مثل هذه العناصر هى رأس مال ممتاز للأمة، إلا أن اعداد بعض الناس، واهمال سائرهم، عملية ناقصة، وماهى إلا بناء لا أساس له فالتطوير لا بد له من قاعدة تتكون من العاملين كلهم فى القطاعين الزراعى والصناعى وبمجالاتهما المختلفة، إذ لا يكفى أن يكون فى المجتمع مهندسون ومخططون وأصحاب اختصاصات عالية دون أن يساندهم فى التنفيذ عمال مهرة وفنيون. ولا يمكن للعامل أن يكتسب المهارة والفن مالم يكن قد حصل أولاً على معلومات أساسية، لا غنى عنها. ثم أن أى عمل مهما كان بسيطاً يحتاج إلى حد أدنى من العلم والقدرة العملية، يحصل عليهما الفرد ليتمكن من العمل والتعامل مع الآلة الحديثة والانتاج(١) .

ومن هذا المنطلق بالذات، ترى الماركسية أن جيل اليوم كله بحاجة إلى اكتساب ثقافة عامة، تضم أسس المعارف كلها، نظرية وعملية على أن يختار له من المعارف النظرية، ما ينسجم مع الحياة العملية، ومع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية، وان تنظم هذه المعارف بشكل تكون فيه وثيقة الصلة بالعمل، وبالدراسة الشاملة للتكنيك والعلم(٢) . وعليه فإن أولى الخطوات التى سارتها الدول التى استمدت افكارها من الماركسية، هى العمل على محو الأمية والاسراع فى القضاء عليها من جهة، وتحقيق الزامية التعليم ومبدأ تكافؤ الفرص من جهة أخرى. وقد أصبح هذا الاتجاه عالمياً فى الوقت الحاضر، فقد جاء فى الاعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر فى ١٩٤٨/١٢/١٠ فى مادته السادسة والعشرين " ان لكل شخص الحق فى التعليم، ويجب أن يكون التعليم فى مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولى الزامياً، وينبغى أن يُعممّ التعليم الفنى والمهنى، وأن يسير القبول للتعليم العالى على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة "(٣) .

ومن هذا المنطلق ترى التربية الماركسية أن على الدولة أن تفتح المدارس اللازمة والكافية لجميع الأفراد، وأن يكون هؤلاء الأفراد جميعاً سواسية أمام الخدمات التعليمية، وأن تؤمن الدولة بأحقية كل فرد فى التعليم حسب قدراته، ومن ناحية أخرى تعمل على تعليم كل فرد إلى أقصى

---

(١) نقابة المعلمين : التربية والتحويل الاشتراكى، سلسلة الأعداد النقابى (٤) دمشق، ١٩٧٥، ص ص ٨-٩.

(2) V. Sukhomlinsky. On Education Op. cit. p. 177.

(٣) محمد سعيد مجذوب : الحريات العامة وحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

قدراته واستعداداته، وتكون هاتان الناحيتان حق الفرد فى التعليم وواجب الدولة نحوه(١) . وعليه فإن الأساس التربوى النفسى الذى يقوم عليه مبدأ تكافؤ الفرصة التعليمية هو توزيع الفرص التعليمية حسب القدرات والاستعدادات. وهذا معناه أن الدولة بعد أن تهيئ القدر المشترك الموحد من الخدمات التعليمية تهيئ الظروف والامكانيات للقادرين من الناحية العقلية على الوصول إلى أقصى حد ممكن، مع تنويع التعليم بالنسبة لهم على أساس قدراتهم الخاصة، على ألا يطغى إعداد القادرين من الناحية العقلية على تهيئة القدر المشترك لجميع المواطنين، لأن العناية المطلقة بالقادرين من الناحية العقلية إنما تخلق طبقة مصطفاة فى المجتمع هى طبقة الصفوة التى قد تنفصل عن المجتمع بعد ذلك وتستغله(٢) .

وتشير الماركسية إلى أن التعليم يجب أن يمنح لكافة الأفراد دون تفريق بين فرد وآخر على أساس المستوى الاقتصادى أو الاجتماعى أو على أساس الدين أو العقيدة أو على أساس الاختلاف فى العنصر أو الاختلاف بين الذكر والأنثى(٣) .

نستنتج مما سبق، أن الماركسية تؤكد على أن ينال كل فرد فى المجتمع قسطاً معيناً من التعليم، الأمر الذى يساعده على تنمية مواهبه ورفع مستوى مداركه، وتنمية شخصيته بجوانبها المختلفة، وهذا هو الهدف الذى ترمى التربية الماركسية إلى تحقيقة من أجل خلق انسان جديد، واع، ومتمتع بحريته، ومما يساعد على تحقيق هذا الهدف سيادة الاتجاه الديمقراطى فى التعليم، عملاً بالمادة السادسة والعشرين من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

---

(٢) ماكارنكو : التربية الاشتراكية، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦.

(4) V. Sukhomlinsky. "On Education". Op. cit. p. 106.

obeikandl.com

ثالثاً : الحرية والمجتمع والتربية

١- الحرية ضرورية فى التربية لتقدم الفرد والمجتمع :

تناولت الماركسية مفهوم الحرية فى التربية من خلال مناقشتها للعلاقة بين الفرد والمجتمع بوصفها مشكلة تربوية، فهى تنظر إلى الفرد والجماعة على أنهما وحدة ديالكتيكية. وتعتبر تنمية الشخصية الفردية والتربية فى داخل الجماعة وجهين لعملة واحدة. فالتربية الماركسية تهدف إلى تنمية الفرد داخل الجماعة مع اعطائه الفرصة لكى تنمو شخصيته نمواً متكاملاً، ومن هنا ترى الماركسية ان المجتمع حصيلة قدرات التنظيم التى تسمح للإنسان بالتعاون مع غيره فى الاعمال التى تهدف إلى تأكيد وسائل الوجود. أى شكل الانتاج الذى يسمح للإنسان بإحراز الحرية فى كفاحه من أجل الوجود(١) .

ومن الأهمية بمكان الاشارة إلى أن التربية الماركسية لاتهدف إلى القضاء على الفردية، ولكنها ايضاً لا تعمل على غرسها وتربيتها وتاكيدها كما سنرى فى موضعه عند دراستنا للحرية فى التربية الوجودية، ومن هنا نقدت التربية الماركسية الفلسفات والأخلاق والتربية البرجوازية التى تقوم على الفردية، وترى ان هذه الفلسفات وما يبنى عليها من تربية، تقوم على الأنانية، وتقترن بالغربة، ومن وجهة النظر الماركسية، ان الفردية كانت تقدمية فى وقتها، وقت أن نادى بها "روسو" و " بستالوتزى"، وعندما كانت تهدف إلى تحرير الفرد من طغيان السلطات المفروضة عليه. ولكن الوضع كله تغير - كما تقول الماركسية - وأصبحت الجماعة ضرورة اجتماعية(٢).

ومن هذا المنطلق اوضحت الماركسية أن الحرية فى التربية ضرورية لتقدم الحياة الاجتماعية، فعندما تقوم التربية بمساعدة التلاميذ على النمو، واكتساب القدرة على التكيف مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى تحصل فى المجتمع فيجب أن تتمتع بقسط كافٍ من الحرية، من أجل أن يمارس التلاميذ من خلالها حياة اجتماعية مبنية على العدل والمساواة والحرية.

---

(١) د. اوسبورن : الماركسية والتحليل النفسى، ترجمة سعاد الشرقاوى، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠، ص ٩٤.

(٢) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٩٦.

وتشير الماركسية إلى أن التربية عامل تقدم، كما أن العلم قوة ثورية، والمفروض أن يعمل كلاهما لصالح المجتمع. وترى أن التربية تكون أحياناً عاملاً معوقاً وضاراً، وذلك عندما تقع فى يد الطبقة الحاكمة المستغلة. وعلى ذلك فلكى نفهم دور التربية يجب أن ننسبها إلى مجتمع معين، وألا يكون حديثنا عن التربية بطريقة عامة أو مطلقة، ومن هنا تؤكد الماركسية أن التربية تحددها العلاقات الاجتماعية، وأن أهداف التربية ووظائفها ومحتواها وطرقها، تختلف باختلاف العصور التاريخية، وباختلاف الطبقات الاجتماعية فى العصر الواحد(١) .

وترى الماركسية أن التربية البرجوازية ذات الصبغة الديكتاتورية، تعد وسيلة وسلاحاً فى يد الطبقات المستغلة لارهاب واستغلال الطبقات الكادحة وأن هذا النوع من التربية لا يعطى الطبقة العاملة من التعليم إلا ما يحقق لها مصالحها. وعليه فإن التعليم فى المجتمع البرجوازى امتياز للطبقات القادرة وحدها [الطبيعة الطبقية للتربية] فهى التى تستطيع أن تفرغ أبناءها لعملية التعليم التى تستغرق سنوات طويلة. وهو أمر لا تستطيعه الطبقات العامة فى المجتمع البرجوازى، بحكم فقرها، وبحكم اضطرارها إلى دفع الأطفال للعمل فى سن مبكرة، بل وإلى الاعتماد على عمل هؤلاء الأطفال، وبهذا لا يمكن فى إطار مثل هذا المجتمع وهذا النوع من التربية، أن يتوافر لجميع الأطفال، ولأبناء الطبقة العاملة خاصة، تربية سليمة متكاملة تقوم على أساس مبادئ الحرية والعدل والمساواة(٢) .

ومن هذا المنطلق وتحقيقاً لمفهوم الحرية فى التربية بوصفه ضرورة لتقدم الفرد والمجتمع، عملت التربية الماركسية فى الصين الشعبية على صياغة أهداف جديدة محددة للتربية، ذات طابع عملى، مرتبطة بحياة الناس والمطالب الملحه للمجتمع. وكذلك وضع التعليم والثقافة فى خدمة الشعب، وتمكين جميع أفراد الشعب وخاصة الطبقات العاملة من الوصول إليها. فقد أصبح ربط التعليم بالأسرة والمجتمع هو المبدأ الأساسى فى تعليم الأطفال فى الصين، حيث بلغ فى عام /١٩٨٥/ عدد المراكز الثقافية /٢٩٦٥/ مركزاً ثقافياً و /٢٣٤٤ / مكتبة عامة و/ ٧١١/ متحفاً و /٧٠٦/ بيتاً للشباب، وتقوم هذه المؤسسات فى الواقع بتنظيم وتقديم مختلف أنواع النشاط كل سنة وبصورة خاصة، خلال فترة الصيف(٣) . كذلك قامت التربية الماركسية تحقيقاً لمبدأ الحرية بربط التعليم بالعمل والانتاج ، وغرس حب العمل ومهاراته والرغبة فيه فى نفوس المتعلمين. كما

---

(١) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) مكتب التربية العربى لدول الخليج (مترجم)، تطور التربية فى الصين، مرجع سابق ، ص ٣٦.

أكدت على الاعتماد بدرجة كبيرة على التعلم الذاتى والعمل والمساعدة المشتركة. وإشراك المدرسين والتلاميذ معاً فى العمل وتبادلهم الخبرات النظرية والعملية، وكل ذلك من أجل تشجيع الديمقراطية فى التعليم لتنمية روح النقد والتفكير المستقل(١) . يتبين مما سبق كيف أن التربية الماركسية تحاول أن ترسم خططها وسياساتها التعليمية من أجل اثبات العلاقة العضوية بين الفرد والمجتمع، لأنها تعتقد أن الفرد يكون شخصيته، ويكتسب حريته من خلال عملية المعاشرة الاجتماعية. وكما أنه فى داخل الجماعة تجد الشخصية الإنسانية فرصتها للنمو، كذلك لكى تنمو الجماعة لابد من أن تنمو شخصيات أفرادها. فالجماعة الحقيقية هى التى يجمع أفرادها هدف مشترك وعمل مشترك ذو مغزى اجتماعى، ومشاعر واهتمامات عامة، وآراء مشتركة، وصداقة(٢) . هذه العلاقة الإيجابية بين الفرد والمجتمع إذا أريد لها النجاح والاستمرار، يتوجب على التربية خلق جو مدرسى ملائم يعيش فيه التلاميذ فى مدارسهم حياة اجتماعية حقيقية يتمتعوا من خلاله بممارسة حرياتهم، فتناقش المشكلات الاجتماعية، واهداف المنهج وفلسفته فى صورة تناسب مستوى التلاميذ. ومن هنا لابد أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع، يحيا فيها التلاميذ حياة مشتركة ويمارسون فيها نظاماً لحياة الفرد الخاصة واسلوباً لمعيشته ولطريقته فى تناول الأمور ومعالجة المشكلات. وبذلك تصبح المدرسة مجتمعاً ديمقراطياً ينمو فيه وعى التلاميذ للقيم الجديدة التى يسير عليها المجتمع. وتستطيع المدرسة أن تسهم بنصيب كبير فى توجيه التلاميذ بمسؤوليتهم الحاضرة وبدورهم المقبل، إذا اتخذت من المنهج العلمى أساساً لمناقشة ما يتعرض له التلاميذ من مشكلات. والجماعة التى يتوافر فيها هذه الصفات تكوّن قوة تربوية هائلة، وفى إطارها يمكن تحقيق الحرية الإنسانية المنشودة.

٢- علاقة المعلم بالمتعلم على ضوء مفهوم الحرية :

مما لاشك فيه، أن العلاقة التى تتكون بين التلميذ ومدرسه فى داخل الفصل وخارجه، لها أكبر الأثر فى تكييف سلوك التلميذ، بل وتكيف علاقته المستقبلية بمختلف الأفراد الذين سيتعامل معهم فى المجتمع الخارجى. والسؤال الذى يفرض نفسه فى البداية : كيف تنظر التربية الماركسية إلى العلاقة التى تربط المدرس بالتلميذ ؟ أيجب أن تتصف بالشدة والعنف أم بالمحبة والحزم ؟ وأى النوعين يؤدى حتماً إلى فائدة التلميذ وتربيته التربية الحرة الكاملة التى تريدها الماركسية ؟

---

(١) محمد نبيل نوفل : دراسات فى الفكر التربوى المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٨٠.

(٢) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ص ١٩٦-١٩٧.

تجيب الماركسية :

إن المدرس يجب أن يكون بمثابة الموجه الحازم للطفل والمرشد الهادى الذى يوجهه إلى مافيه إعلاء النزعات ومافيه الإنتاج والخلق والسلوك الاجتماعى الصحيح، ويجب أن يكون الأخ الأكبر الذى يهيئ لاخوته الصغار الجو المناسب الذى يميلون إليه، وعليه أن يعيش معهم فيه، ويظهر أمامهم على طبيعته من غير تكلف أو كبرياء، ومن واجبه كذلك أن يكون معيناً لهم، يساعدهم على مقابلة الشدائد والتغلب على الصعاب(١) .

وترى الماركسية، أنه من أجل أن يحقق المعلم هذه الواجبات والمسؤوليات المطلوبة منه بشأن هذه العلاقة يترتب عليه ما يلى(٢) :

١- التعرف على شؤون التلاميذ المختلفة لإمكان مساعدتهم على حل مشكلاتهم وتنمية قدراتهم وقابلياتهم، الأمر الذى سيجعلهم أكثر حرية.

٢- أن يكون محباً لتلاميذه، وله اتجاهات إيجابية نحوهم، يحترمهم ويشجعهم على النقد والمصارحة، وهذه صورة راقية من صور الديمقراطية التى يجب أن يتمتع بها كل التلاميذ.

٣- أن يزود تلاميذه بالمعارف الأساسية والعلوم الحديثة ويربى فيهم الخصال الخلقية الحميدة والعادات الإشتراكية كحب الادخار وحب العمل واتقانه ويربيهم على الاتجاهات الإنسانية.

٤- أن يغرس فيهم المعتقدات الاشتراكية والروح الوطنية الجماعية وحب الشعب وطبقاته المنتجة.

٥- أن يعاملهم بأساليب ديمقراطية حازمة وأن يكون عادلاً معهم.

٦- أن يبنى الاتجاه العلمى لدى تلاميذه، ذلك الاتجاه المكتسب الذى لا ينحاز ولا يتعصب لفكرة أو قضية أو شخص أو نظام، إلا بعد أن يتفحص الأمور ويحللها، ويرى بموضوعية جوانب الموضوع. كل ذلك قبل أن يقرر شيئاً إزاءه.

---

(١) A.S. Makarenko. Problems of Sovietschool Education . Op. cit. p. 44.

(٢) عزيز حنا : المعلم والتربية الاشتراكية، مجلة التوثيق التربوى، مركز التوثيق التربوى فى السودان، العدد/٢٥/ السنة السادسة/يناير/١٩٧٣، ص ٢٢.

وتؤكد التربية الماركسية إضافة إلى ذلك، أن على المعلم أن يدرك أن للطلبة حقوقاً أساسية لا يمكن إنكارها، وعليه كمعلم أن يشجعهم على المطالبة بها وممارستها وأهم هذه الحقوق هى(١):

أ - حق الطالب فى المشاركة التى تأتى فى صورة التشاور. فمن حق الطلاب أن تُسمع وجهة نظرهم فى دراستهم وفى مؤسستهم التعليمية. ومن حقهم أن يجابوا على كل ما يستفسرون عنه أو يطلبون إيضاحاً له. ومن حقهم أن يقدموا ما يرون من اقتراحات وحلول حول أى إجراء تربوى يؤثر فى دراستهم وحياتهم عموماً، وهذا يشمل بطبيعة الحال الجوانب المالية - إن وجدت - ونظام التقويم وحتى محتويات المناهج لهم أن يحاجوا فيها، إذا ما قدموا لذلك تفسيراً مقنعاً، وعند ذلك يكونوا قد مارسوا أعلى درجة من درجات الحرية.

ب - حق الطالب فى التعليم، ولعله يكون من أهم الحقوق على الإطلاق هو حقه فى تعليم ممتاز.

جـ - حقهم فى تنظيم حياتهم الاجتماعية واختيار قياداتهم والتمتع بكافة الحقوق التى يؤهلون لها بوصفهم مواطنين.

د - حق الطالب فى أن يتوفر له تعليم يناسب قابلياته وقدراته ويتناسب مع ظروفه بما يحقق له التقدم فى حياته.

انه إذا ما تم ذلك، فإن الفرد سوف يشعر بكيانه واحترامه سواء أكان قائداً أم مقاداً، إذ لا يتكون المجتمع تكويناً سليماً إلا بالاحترام المتبادل بين الرئيس والمرؤوس، الكبير والصغير، فالمساواة والحرية والديمقراطية وغيرها لا توجد فى مجتمع لا يحترم أفراده بعضهم بعضاً.

٣- التعليم البوليتكنيكى والحرية :

يعد التعليم البولتيكنيكى من الطرق التربوية التى تنتهجها التربية الماركسية فى بناء مجتمعها القائم على ترسيخ قواعد العدل الاجتماعى والحرية والمساواة بين فئات المجتمع كافة، ولهذا نجد لزاماً علينا توضيح هذا المنهج التعليمى التربوى الموجه لاشباع حاجات الفرد والمجتمع فى مجال التعليم لكونه يحقق التنمية الشاملة المتكاملة للشخصية الإنسانية من جهة، ويلبى مطالب العصر من جهة ثانية.

---

(١) فاخر عاقل : اصلاح التعليم، مجلة المعلم العربى، العدد/٤/السنة ٢٠/ دمشق، ١٩٦٧، ص ٥٥.

ويفهم من التعليم البوليتكنيكى فى التربية الماركسية بأنه " التعليم الذى يقوم على أصول الانتاج الصناعى، وهو يتميز عن التدريب الحرفى أو المهنى الذى يهتم بالتدريب على مهارات معينة، وهو يهدف إلى تعليم الأطفال فروع الإنتاج الهامة فى الصناعة والزراعة وتزويدهم بالمهارات فى تناول الالات والأدوات وتعريفهم بصورة عامة بالمعرفة النظرية والخبرة العملية الممتازة للعملية الرئيسية للانتاج "(١) . وترى الماركسية أن هذه الصيغة للتعليم البوليتكنيكى تعد ضرورة من أجل تحقيق مطالب المجتمع، ومطالب الإنسان الفرد كذلك. فالتطور الصناعى الالى يفرض تربية العامل تربية متكاملة، واحاطته بجميع جوانب عمله ليصبح أكثر حرية، ففى إطار الرأسمالية يصبح الإنسان أو العامل مجرد تابع للالة، ولا قيمة له بغيرها، ولكن فى ظل التربية الماركسية، على الإنسان أن يسيطر على الالة ويسخرها لخدمته، ويستطيع أن ينتقل من عمل لآخر بحرية تامة(٢) .

ومن هذا المنطلق تؤكد التربية الماركسية على تحرير الإنسان، وترى أنه لا حرية للإنسان وهو ملتصق بتخصص معين ضيق، ومرتبط بالة أو عمل لا يستطيع أن يتركه. (وهذه نقطة التقاء مع رأى " نيتشه " كما سنرى فى موضعه عند دراستنا للحرية فى التربية الوجودية) ولهذا فان تنمية المهارات المتعددة للعامل غدت ضرورة للانتاج الحديث، فالصناعة الكبرى ترغم المجتمع على أن يضع مكان العامل المجزأ الذى يقوم بعمل ضيق ومحدود إنساناً قادراً على تلبية المطالب المتعددة للعمل(٣) . ويرى " ماكارنكو " أن هذا النوع من التعليم يساعد الطفل على النمو المتكامل لأنه يوسع أفقه ويحسن نموه الخلقى بتعويده على العمل مع الآخرين وللآخرين، كما يؤدى إلى تماسك المجتمع بتأكيده على الخبرات المشتركة لكل قطاعات الناس، وهكذا تقترب الفجوة بين العامل الذى يعمل بيده والذى يعمل بعقله، وتوضح لهما أهمية وظيفة كل منهما بالنسبة للمجتمع(٤) .

ومن هنا ترى الماركسية أن أساس تربية المستقبل هو ربط التعليم بالعمل الانتاجى الصناعى الحديث، وأنه بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة، لابد وأن تجمع مدارسها بين الدراسة النظرية والتعليم المهنى والممارسة العملية، وتسعى إلى تحقيق المبادئ التالية(٥) :

---

(١) محمد منير مرسى : دراسات فى التربية المعاصرة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٤٦.

(٢) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٣) فاطمة الجيوشى : فلسفة التربية، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٨، ص ١٠٨.

(٤) A.S. Makarenko. Problems of Soviet School Education. Op. cit. p. 66.

(٥) محمد نبيل نوفل وآخرون : دراسات فى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص ١٧٣.

١- تدريس الأصول العلمية النظرية التى تساعد على فهم أسس الصناعة الحديثة والمبادئ العلمية اللازمة فى جميع عمليات الانتاج وخاصة فى مواد الميكانيكا والطبيعة والكيماء.

٢- التدريب على مهارات استخدام الآلات البسيطة الأساسية اللازمة فى جميع عمليات الانتاج.

٣- اشتراك التلاميذ فى عمل إنتاجى اجتماعى، من أجل أن يتحقق القضاء على التفرقة بين العملين اليدوى والعقلى، والتنمية المتكاملة للشخصية مما يجعلها أكثر حرية.

وهكذا يتأكد اهتمام النظرية التربوية الماركسية باكساب الفرد الاتجاهات السليمة نحو العمل واحترامه وتقديره، وهذا يستلزم بالطبع المعرفة بطرائق الانتاج والمهارات الفنية وأسسها النظرية، وهذا يعنى أن يكون التعليم ممتزجاً بالعمل المنتج أو بالعمل ذى النفع الاجتماعى. ومن وجهة نظر الباحث، إن هذا هو أهم ما نحتاج إليه نحن العرب فى اعادة بنائنا التعليمى إذا أردنا أن نخلصه مما يعانيه من النظرية والجفاف. ويرى " ماكارنكو " أنه فى ممارسة التلميذ لنشاطه فى مصنع المدرسة ومعاملها، وكذلك فى تدريباته بالمصانع الجماعية والحكومية (الكلخوزات والسوفخوزات) يتعلم التلميذ تطبيق النظرية على العمل(١) . وتشير الماركسية إلى أن التربية البوليتكنيكية تقوم بواجبين أساسيين وهما(٢) :

١- العمل على رفع الانتاج بتدريب العمال من أجل عالم صناعى جديد ومتغير.

٢- ترقية وتنمية النمو المتكامل للفرد حتى يستطيع أن يسهم فى بناء المجتمع، ويستطيع أن يستمتع بوقت فراغه .

يتضح مما تقدم ان التعليم البوليتكنيكى لا يهدف إلى مجرد اعداد قوى عاملة، وإنما يهدف إلى أن يتمكن الشباب من اتقان التكنولوجيا الحديثة. كما أن التعليم البوليتكنيكى يرتبط بنظرة جديدة إلى العمل هدفها الأساسى تحرير الإنسان، لأن العمل النافع كما يقول " ماكارنكو " : وسيلة تشكيل الشخصية وتكوين الإنسان الذى يضع نصب عينه هدفاً براقاً ويكون دافعه الحقيقى للحياة البشرية إنما هو فرحة الغد(٣) .

---

(١) ماكارنكو : التربية الاشتراكية، مرجع سابق، ص ٣٩.

(2) V. Sukhomlinsky. On Education. Op. cit. p. 192.

(٣) ماكارنكو : قصيدة تربوية، ترجمة دار رادوغا، المجلد الثالث، موسكو، ١٩٨٥، ص ٢٥١.

وما ذكرناه يعد من أهم الأفكار التى يعتمد عليها الفهم الماركسى للحرية فى التربية، والتى نخلص منها إلى ما يلى :

١- تأكيد التربية الماركسية على أن الحرية فى التربية لا تتحقق إلا بخلق شخصية متكاملة للتلميذ من جميع جوانبها، مما يترتب على المدرسة القيام بمساعدة التلاميذ على النمو خلقياً وعقلياً وجسمياً، من أجل أن يصبحوا أحراراً واعين بما يجرى حولهم، فالحرية تظهر بصورة عملية عندما تهتم المدرسة بهذه الامكانية (إمكانية النمو) وتعمل على تحقيقها، وهذا هو هدف التربية.

٢- تأكيد التربية الماركسية على تنمية الوعى لدى التلاميذ، لكونه يمثل شرطاً هاماً من شروط الحرية.

٣- التأكيد على أهمية الحياة الديمقراطية فى المدرسة وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، لأن ذلك عامل أساسى فى صيانة الحرية والديمقراطية.

٤- التأكيد على العلاقة الديالكتيكية بين الفرد والمجتمع، مما يترتب على المدرسة خلق مناخ اجتماعى ديمقراطى يمارس فيه التلاميذ حرياتهم.

٥- تأكيد التربية الماركسية على قيام علاقة إيجابية بين المعلم والمتعلم، على أن يعرف كل واحد أن له حقوقاً وعليه واجبات.

٦- ولما كانت الماركسية تقر بأن الإنسان قد ولد مستعبداً مقيداً بشتى الظروف الخارجة عن ارادته، لذا تتجه التربية الماركسية منذ حياة الوليد البشرى إلى تحريره ووضع حد لاغترابه عن وجوده، وتنمية مداركه بالكون والمجتمع، حتى يرتقى فى درجات الحرية والمسؤولية الاجتماعية.

٧- ولأن العمل هو الوسيلة الأولى لتحرير الانسان، اتجهت الفلسفات التربوية والسياسات التعليمية إلى تأكيد قيمة العمل واعلاء شأنه، لذا تنتشر فى المدارس العبارة الماركسية "فى العمل، وبالعمل، ومن أجل العمل" بوصفها عبارة متشابهة مع المقولة البراجماتية "فى الخبرة، وبالخبرة، ومن أجل الخبرة" ومن هنا أولت التربية الماركسية عناية خاصة بالتعليم البولتيكنيكى.

٨- والوسيلة الثانية فى التربية الماركسية لتحرير الإنسان هى المشاركة الاجتماعية، فالحرية في الماركسية، مثلما فى البراجماتية، ليست تجربة باطنية أو شعوراً نفسياً أو أمراً ذاتياً يخص الأنا على حدة، وإنما هى تجربة اجتماعية أو حركة تاريخية أو مشكلة عينية تهم الإنسان فى علاقته بالآخرين.

٩- وعلى الرغم من القول بأن هناك فرصة للاستقلالية فى التربية الماركسية أو حتى للتنمية الذاتية، إلا أن ثمة تأكيد على أن الفرد فى ظل الماركسية لا يحصل على فرصة فى تنمية قدراته الشخصية إلا داخل حدود الاختيار الذى تحدده الدولة.

obeikandl.com